الحلقة 11

معجزات الله التي أيد بها رسله

إعداد: هشام المنشاوي

إبراء الأكمه والأبرص... معجزات عيسى عليه السلام

إحياء الموتى.. أم المعجزات

- عيسى خصه الله ببعض المعجزات كسائر المرسلين ومنها إحياء الموتى
- القرآن أكد أنه لم يُصلب أو يقتل بأي طريقة أخرى بل رفعه الله إليه
- استعاد الرواة قصص الأنفس الأربع التي أحياها وصاغوها بألفاظ مختلفة
- قصة إحياء سام بن نوح غائبة عن الإنجيل ولكن استعادها المسلمون في مؤلفاتهم

حبه الناس

المسيح عيسى بن مريم ويُعرف أيضاً بيشوع بالعبرية و بيسوع في العهد الجديد، هو رسول الله والمسيح في الإسلام، ويعتبر من أولي العزم من الرسل ، أُرسل ليقود بني إسرائيل إلى كتاب مقدس جديد وهو الإنجيل، ويُفضل المسلمون إضافة عبارة «عليه السلام» بعد اسمه ككل الأنبياء توقيراً لهم. الإيمان بعيسى (وكل الأنبياء والرسل) ركن من أركان الإيمان، ولا يصح إسلام شخص بدونه. ذكر عيسى باسمه في القرآن 25 مرة، بينما ذكر محمد 4 مرات.

يذكر القرآن أن عيسى ولدته مريم بنت عمران، وتعتبر ولادته معجزة إلهية ، حيث أنها حملت به وهي عذراء من دون اي تدخل بشري كما هي طبيعه الحال، بأمر من الله وكلمه منه كن فكان ولحكمه ان يكتمل اعجاز الله في الخلق (فآدم أبو البشر خلق من دون أب ولا أم وحواء أم البشر خلقت من أب بلا أم وكل البشر خلقوا من أب وام وأما عيسي عليه السلام فمن أم بلا أب) وليكتمل بخلقه ناموس الخلق الذي أراده خالق الكون.

كانت لدى عيسى عليه السلام القدرة على فعل بعض المعجزات كسائر المرسلين والأنبياء مع الإختصاص له بإحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله.

وبحسب القرآن، فإن عيسى عليه السلام لم يُصلب، ولم يقتل بأي طريقة أخرى، بل توفاه الله ورفعه إليه، كذلك فإن عيسى مسلمٌ مثل كل الرسل في الإسلام، أي خضع لأمر الله، ونصح متبعيه أن يختاروا الصراط المستقيم. يرفض الإسلام فكرة الثالوث، أن عيسى هو إله متجسد، أو ابن الله أو أنه صُلب أو قيامة يسوع. ويذكر القرآن أن عيسى نفسه لم يدّعي هذه الأشياء، وأيضاً يشير إلى أن عيسى سينفي إدعاءه الألوهية في يوم القيامة . ويشدد القرآن أن عيسى بشر فان، مثل كل الأنبياء والرسل وأنه اختير لينشّر رسالة الله. وتحرم النصوص الإلهية إشراك الله مع غيره، وأن توحيد الله هو السبيل الوحيد للنجاة.

يُؤمن المسلمون بأن محمد رسول للعالمين اما المسيح عيسى بن مريم هو رسول لبني إسرائيل فقط ليحل لهم بعض الذي حرم عليهم، وقد آمن برسالته الحواريين طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة من بني إسرائيل، وقد اعطاه الله من المعجزات انه يكلم الناس وهو رضيع ويحيي الموتى بإذن الله ويشفي الأكمه والأبرص بإذن الله ويصنع من الطين على شكل الطير وينفخ به فيكون طير بإذن الله.

احياء الموتى

يقول القرآن الكريم إن عيسى أُعطيَ القدرة على إحياء الموتى «بإذن الله». ونجد في إنتاج أهل التاريخ والقصص روايات عدة تتحدّث عن موتى أحياهم ابن مريم، يجد بعضها مصدره في الأناجيل الأربعة، كقصة إحياء ألعازر. أما البعض الآخر، فلا نجد له مقابلاً في الكتب التي تدخل ضمن قانون الكتاب المقدس، كقصة إحياء سام بن نوح، وقصة إحياء النبي عزيز.

في «عرائس المجالس»، تحدّث أبو اسحاق النيسابوري عن أربع أنفس أحياها عيسى بإذن من ربّه. يبدأ أشهر كتاب قصص الأنبياء بالعازر، وهو بحسب الراوي صديق ابن مريم، وقد ألمّ به مرض جعله يحتضر، فأرسلت أخته إلى نبي الله تخبره: «إنّ أخاك ألعازر يموت». وكان بين عيسى ومنزل صديقه ثلاثة أيام، ولما أدركه مع أصحابه وجده قد توفي، فقال لأخته: «انطلقي بنا إلى قبره». وقادته الأخت إلى قبر صديقه، وكان هذا القبر قائماً في صخرة مطبقة، فقال عيسى: «اللهمّ ربّ السموات السبع، إنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أدعوهم إلى دينك، وأخبرتني أني أحيي الموتى بإذنك، فأحي العازر». وقام ألعازر من قبره وأوداجه تقطر، وعاش وأنجب. الحالة الثانية التي يذكرها الثعلبي هي إبن العجوز. «مُر به ميتا على عيسى عليه السلام، وهو يُحمل على سرير»، فدعا عيسى الله تعالى، فجلس الميت على سريره، «ونزل عن أعناق الرجال، ولبس ثيابه، وحمل السرير على عنقه، ورجع إلى أهله، فبقي وولد له». أما الحالة الثالثة فهي بحسب النيسابوري ابنة العازر. وصل إليها عيسى فقيل له: «أتحييها وقد ماتت بالأمس؟ فدعا الله عزّ وجلّ فعاشت وبقيت وولدت». ويختم الثعلبي حديثه عن إحياء عيسى الموتى بذكر قصة سام بن نوح، وقد أحياه روح الله بعدما دعا باسم الله الأعظم، فخرج الميت من قبره وقد شاب نصف رأسه ظنا منه أن القيامة قد قامت، فقال له عيسى إن ساعتها لم تحلّ بعد، وإنه قام لأنه دعاه باسم الله الأعظم، ثم قال له: مت. فقال سام بن نوح: «بشرط أن يعيذني الله من سكرات الموت»، فدعا عيسى الله سبحانه، واستجاب الخالق الدعاء.

استعاد الرواة قصص الأنفس الأربع التي أحياها عيسى، وصاغوها بألفاظ مختلفة، وتختلف هذه الروايات في بعض التفاصيل بين صيغة وأخرى، كما أنها تأتي طوراً بإيجاز شديد، وطوراً من خلال سرد طويل تكثر فيه الحوارات والأقاويل والاستطرادات التي لا تخلو من المعاني والدلالات. وتبدو القصص الثلاث الأولى قريبة من ثلاث أعاجيب جاء ذكرها في الإنجيل، إلا أنها تأتي في المصادر الإسلامية في قالب خاص يؤكد الرواة من خلاله أن عيسى ما هو إلا نبي يحقق المعجزات ويحيي الموتى «بإذن الله»، كما جاء في سورة آل عمران (49) وسورة المائدة (110). تماثل قصة إحياء العازر إلى حد كبير رواية إنجيل يوحنا (11)، حيث يوقظ يسوع صديقه الراقد بأعلى صوته قائلاً: «يا لَعازر، هلمّ فاخرج». وتأتي هذه الصيحة بعد دعاء يتلوه المسيح رافعاً عينيه إلى السماء: «شكراً لك يا أبت على أنك استجبت لي، وقد علمت أنك تستجيب لي دائماً أبداً ولكني قلت هذا من أجل الجمع المحيط بي لكي يؤمنوا أنك أنت أرسلتني». وتقارب قصة إحياء ابن العجوز قصة إحياء ابن أرملة نائين في إنجيل لوقا (7)، ويذكر مشهد الفتى الذي «حمل السرير على عنقه» في المصادر الإسلامية بالمُقعد الذي قام وحمل سريره في إنجيل متى (9)، والمُقعد الذي «حمل ما كان مضطجعاً عليه» في إنجيل مرقص (7). وتبدو قصة ابنة العازر التي أحياها عيسى في مجلس الثعلبي قريبة من قصة ابنة يائيرس التي أقامها يسوع في إنجيل مرقص (5)، وكانت في الثانية عشرة من عمرها حين فتك بها المرض، فجاءها يسوع وأخذ بيدها وقال لها «يا صبية قومي»، فقامت وأخذت تمشي.

كرب الموت

تبدو قصة إحياء سام بن نوح غائبة عن الإنجيل، وقد استعادها الرواة المسلمون في الكثير من المؤلفات. يوردها ابن الأثير بإيجاز في «الكامل في التاريخ»، وينقلها ابن الجوزي في سرد إنشائي بليغ في «المنتظم في التاريخ»، جاعلا منها آية عيسى الكبرى. وفقاً لهذه الرواية، سأل بنو إسرائيل عيسى أن يبعث لهم من الآخرة سام بن نوح الذي مات «منذ كذا وكذا ألف سنة». سار عيسى مع سائليه إلى الموقع الذي دُفن فيه الميت منذ آلاف السنين، وصلّى ركعتين وقال: «يا رب إنهم سألوني ما قد علمت فابعث لي سام بن نوح»، ثم توجه بكلامه إلى الراقد تحت الثرى وقال: «يا سام بن نوح قُم بإذن الله»، وردّد نداءه هذا ثانية وثالثة، فانشقّت الأرض وخرج ابن نوح وهو ينفض التراب عن رأسه ويقول: «لبيك يا رسول الله وكلمته ها أنا ذا قد جئتك». ثم توجّه بكلامه إلى بني إسرائيل وقال لهم: «هذا عيسى بن مريم ابن العذراء المباركة روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم فآمنوا به واتبعوه». وعاد وخاطب عيسى وَقال له: «يا روح الله إنك لما دعوتني، جمع الله مفاصلي وعظامي ثم سواني خلقا، فلما دعوتني الثانية رجعت إلي روحي، فلما دعوتني الثالثة خفت أن تكون القيامة، فشاب رأسي وأتاني ملَك فقال: هذا عيسى يدعوك لتصدق مقالته. يا روح الله سل ربك أن يردني إلى الآخرة فلا حاجة لي في الدنيا». وشدّد ابن نوح على طلبه هذا وقال لابن مريم: «يا عيسى أكره كرب الموت، ما ذاق الذائقون مثله». فاستجاب نبي الله طلبه ودعا ربه فاستوت الأرض على ابن نوح وقبضه الله إليه من جديد.

نجد في التراث الديني الإسلامي حالات إحياء أخرى اجترحها عيسى «بإذن الله»، ومنها قصة احياء النبي عزيز، وقد ذكرها ابن الأثير بشكل موجز في تاريخه، وفيها قال بنو اسرائيل لعيسى: «أحْي لنا عزيراً وإلا أحرقناك». فدعا ابن مريم الله وعاش عزيز. فقالوا: «ما تشهد لهذا الرجل؟». قال: «أشهد أنه عبد الله ورسوله». ينقل النويري هذه الرواية عن الكسائي ويسجّلها في قالب غني بالتفاصيل يهب الحدث دلالات جديدة. نقرأ في «نهاية الأرب في فنون الأدب»: «سأل بنو إسرائيل عيسى أن يحيي لهم عزيراً، فقال: التمسوا قبره فالتمسوه، فوجدوه في صندوق من حجر، فعالجوه ليفتحوا بابه فلم يستطيعوا ذلك. فرجعوا إلى عيسى وأخبروه أنهم عجزوا أن يخرجوه من قبره، فأعطاهم ماء في إناء وقال: إنضحوه بهذا الماء فإنه ينفتح. فانطلقوا ونضحوه بالماء فانفتح طابقه. فأقامه عيسى في أكفانه فنزعها عنه، ثم جعل ينضح جسده بالماء ولحمه ينبت وشعره وهم ينظرون. ثم قال عيسى: يا عزير، احي بإذن الله. فإذا هو جالس. فقالوا: ما شهادتك على هذا الرجل؟ فقال عزير: أشهد أنه روح الله وكلمته ألقاها إلى مريم وأنه عبد الله ونبيه وابن أمته. قالوا: يا عيسى، ادع ربك يحييه لنا، فيكون بين أظهرنا. فقال عيسى: ردوه إلى قبره فإنه انقطع رزقه وانقضى أجله. فردوه إلى قبره».

تأتي هذه الرواية في «نهاية الأرب» بعد ذكر واقعة طريفة يحيي فيها عيسى نفسَين. بحسب رواية النويري، كان عيسى يمرّ برجل يدمن الجلوس عند قبر في المقبرة، فقال له مرة: «يا عبد الله، أراك تكثر القعود على هذا القبر». فأجابه الرجل: «يا روح الله، امرأة كانت لي وكان من جمالها وموافقتها كيت وكيت، ولي عندها وديعة». توضّأ عيسى وصلّى ركعتين، فإذا بكائن أسوَد يخرج من قبره كأنه جذع محترق، فسأله ابن مريم: «ما أنت؟» فقال: «يا رسول الله أنا في عذاب منذ أربعمائة سنة، فلما كانت هذه الساعة قيل لي أجب فأجبت. قد مر عليّ من أليم العذاب ما إن ردني الله إلى الدنيا أعطيته عهداً ألا أعصيه، فادع الله لي». رقّ عيسى لحال الرجل ودعا الله، ثم قال له أن يمضي، فمضى. ينبري هنا الرجل الذي أدمن الجلوس عند قبر زوجته ويقول لعيسى: «يا رسول الله، لقد غلطت بالقبر، إنما قبرها هذا». يدعو عيسى ربه من جديد، وتخرج من القبر امرأة شابة جميلة سرعان ما يأخذها زوجها بيدها ويمضي معها ليستريح إلى جانبها تحت شجرة مورقة. ومر بهذه الشجرة ابن ملك، فنظر إلى المرأة ونظرت إليه، وأعجب بها وأشار إليها، فتركت زوجها نائماً وتبعته. استيقظ الزوج وراح يبحث عن رفيقته، حتى وجدها وقال: امرأتي، فقال ابن الأمير: جاريتي. ومر بهم عيسى فقال للمرأة: «ردي علينا ما أعطيناك». فسقطت ميتة. وقال عيسى: «هل رأيتم رجلاً أماته الله كافراً ثم بعثه فآمن! وهل رأيتم امرأة أماتها الله مؤمنة ثم أحياها فكفرت!».

كلامه في المهد

المعجزة الثانية من معجزات إرهاصات النبوة: تكلمه وهو صبي في المهد، وفي حكاية كلامه وهو صبي، ووصف لحال أمه حينما جاءت إلى قومها تحمله، قال تعالى في سورة مريم:

فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً × يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيّاً × فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيّاً × قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيّاً × وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً × وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيّاً × وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيّاً × ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ (سورة مريم الآية: –27 34)

معجزات عيسى

وأما معجزاته: فقد أرسل الله عيسى عليه السلام في قوم يفاخرون بمهاراتهم بالطب، بحسب مستّوى زمانهم، فأجرى الله على يديه معجزات باهرات تُشاكل نوع مهارة قومه بحسب الصورة، ولكن بمستوى لا يستطيع الطب بالغاً ما بلغ أن يصل إليها، فمن هذه المعجزات:

1 – نفخ الروح في الطير فينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، هذه معجزة فوق طاقة البشر.

2 – أنه يمسح الأكمه، والأكمه هو الذي وُلد أعمى، ما رأى النور في حياته، فيبرئه بإذن الله.

3 – أنه يمسح على الأبرص فيشفيه بإذن الله، والبرص من أعقد الأمراض التي تستعصي على الطب.

4 – أنه يحيي الموتى بإذن الله، بعضهم قال: بالنداء، وبعضهم قال: بالنفث.

5 – أنه يُنبئ الناس بما يأكلون وما يدخرون في بيوتهم، وهذا نوع من الاطّلاع على الأشياء المحجوبة والبعيدة، ونفوذ العلم بها إلى ما وراء الحجب مستحيل.

6 – أنه كفّ الله بني إسرائيل عنه حينما أرادوا قتله، وألقى شبهه على من دلّ على مكانه ثم رفعه إليه:

وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ (سورة النساء الآية: 157) وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيناً × بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ (سورة النساء الآية: 157–158)

7 – أن الحواريين طلبوا من سيدنا عيسى عليه السلام أن يُنزل الله عليهم مائدة من السماء ليأكلوا منها، ولتطمئن قلوبهم بالإيمان فيثبتوا عليه، فدعا عيسى ربه فأنزل عليهم المائدة التي طلبوها فكانت معجزة كبيرة له.

تكلم في المهد

.. وابهرهم بمعجزاته

الموقع الذي ولد فيه .. في وقتنا الحالي

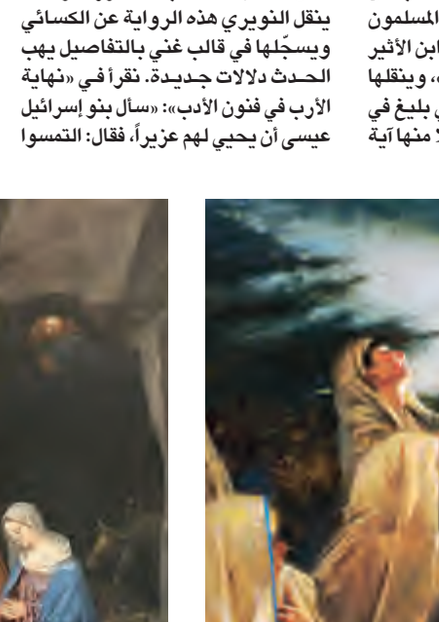

لم يصلب كما يشاع

كانت معجزاته في الطب